فقه الدعوة ونعوت الداعية

لفضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

وهو درس ألقاه الشيخ في افتتاحية الدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله

وائل بن علي بن أحمد الأثري

تنبيه

هذه النسخة لم تراجع من قبل شيخنا

حفظه الله تعالى

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فبين يدي القارئ الكريم رسالة بعنوان (فقه الدعوة ونعوت الداعية) لشيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي – حفظه الله – ، وأصل هذه الرسالة درس ألقاه شيخنا الحبيب في افتتاحية الدورة القرعاوية السابعة عشر لعام ١٤٣٢هـ يوم الجمعة الموافق : ٢٢ / رجب / ١٤٣٢هـ فقمت بتفريغها والعمل على تحقيقها والتعليق عليها فصارت بالصورة التي بين يدي القارئ .

ومما ينبغي التنبيه عليه أنني ما كدت أن أنتهي من التعليق والتحقيق إلا وقد فجعت برسالة قديمة وجدتها لشيخنا حفظه الله ضمن كتابه مجموعة رسائل الجزء الأول بعنوان (فقه الدعوة إلى الله ونعوت الداعية)[١] فخشيت أن يكون عملي قد ذهب هباء ، فلما طالعتها حمدت ربي جل وعلا فقد رأيت اختلافاً بينهما وإن تسموا بنفس العنوان فلم يضع المجهود ؛ بل لمست أن درس شيخنا الحالي كالمتمم لدرسه الماضي ، فقلت إن هذا من فقه شيخنا كرر العنوان ولم يكرر المحتوى ، لذا فإنني أقترح أن تنشر الرسالتان سوياً حتى يستفيد القارئ فائدة قيمة منهما إذ لا شك أن الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم وهي من أشرف الأعمال والقربات ، لأنها عمل الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – فحري بالداعي إلى الله أن يكون على بصيرة من أمر دينه كما قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] .

---

[١] - وأصلها أيضاً كان درساً ألقاه شيخنا بتأريخ ١٤١٥/١١/٦هـ في مدينة جازان .

[٢] - (سورة يوسف آية : ١٠٨) .

فعلى الداعية البصير أن يتحلى بالعلم الشرعي والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن فالرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع الرفق من شيء إلا شانه .

وسيجد الداعية في هذه الرسالة أموراً من الأهمية بمكان في مجال الدعوة فليعض عليها بالنواجذ ؛ ولا أدعي الكمال لبحثي وشيخي إذ الكمال لله وحده لذا فمن وقف على خطأ فليوقفني عليه وأنا أتقلد له الثناء والشكر والدعاء .

والحمد لله على توفيقه أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً ، هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الجمعة : ٢٩ / رجب / ١٤٣٢هـ

فقه الدعـوة ونعوت الداعية

بسم الله الرحمن الرحيم[٣]

الحمد لله رب العالمين[٤] اللهم صلِّ[٥] وسلِّم وبارك على نبينا محمد[٦] وعلـى آلـه[٧] وصحبه[٨] أجمعين ،،، أما بعد[٩] :

---

[٣] - لم يفتتح الشيخ كلمته بالبسملة وإنما كتبتها تبركاً واقتداء بكتاب الله القرآن الكريم ورسائل النبي الأمين ؛ مع التنبيه أنه لا يصح في فضل البداءة بها أي حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – .

[٤] - افتتح شيخنا – حفظه الله – الدرس بـ(الحمد لله رب العالمين) ولم يفتتحه بخطبة الحاجة إما للاختصار أو لبيان الجواز .

والمراد بـ(الحمد لله رب العالمين) الثناء على الله تعالى بما هو أهله ، فجدير بعباده أن يثنوا عليه بما أثنى به على نفسه وأثني به عليه رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢٨) طبعة دار طيبة : (قال أبو جعفر بن جرير : معنى ﴿الحمد لله﴾ الشكر لله خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذَّاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرًا.

وقال ابن جرير : ﴿ الحمد لله ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا: ﴿ الحمد لله ﴾ .

قال: وقد قيل: إن قول القائل: الحمد لله، "ثناء عليه بأسمائه وصفاته الحسنى ، وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه، ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر.

وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية. وقال ابن عباس : ﴿ الحمد لله ﴾ كلمة كل شاكر ، وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل : ﴿ الحمد لله ﴾ شكرًا . وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا : أيهما أعم ، الحمد أو الشكر؟ على قولين ، والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حَمدته لفروسيته وحمدته لكرمه. وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه ، لأنه يكون بالقول والعمل والنية، كما تقدم، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إليّ. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين، والله أعلم.)اهـ

[٥] - صلاة الله على نبيه معناها ثناؤه عليه في الملأ الأعلى ، وهذا ما ذهب إليه أبو العالية من التابعين وتابعه عليه جمهور أهل العلم ، وقد أخطأ من فسر صلاة الله بأن معناها الرحمة ؛ فإن الله تبارك وتعالى قال ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فعطف الله الرحمة على الصلاة والعطف يقتضي المغايرة ، فدل هذا على أن الرحمة غير الصلاة ، وأن المراد بالصلاة الثناء .

[٦] - وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ؛ من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، بعثه الله إلى الثقلين بشيراً ونذيراً ؛ وهو على رأس أربعين سنة ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، فمكث ثلاثاً وعشرين سنة نبياً رسولاً يدعوا إلى الله تبارك وتعالى .

[٧] - آل الرجل : هم أهل بيته وقرابته وذريته ممن ينتمون إلى الشخص بنسب ونحوه ، والمراد بآل النبي – صلى الله عليه وسلم – كل من يتمسك بما كان عليه ويدعوا إليه .

[٨] - جمع صحابي ؛ والصحابي هو : من لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – مؤمناً به ، ومات على الإسلام وإن تخلل ذلك ردة . والصحابة كلهم عدول ، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه الكريم في كثير من الآيات منها قوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وقوله ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ وقوله ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وقوله ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وغير ذلك . وكذلك قد أثنى عليهم النبي – صلى الله عليه وسلم – في كثير من الأحاديث ؛ ومنها قوله في الحديث المتفق عليه :" خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "رواه البخاري برقم (٣٤٥١) ، ومسلم (٢٥٣٣) . وقوله أيضاً في الحديث المتفق عليه :« لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ » رواه البخاري برقم (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) .

وأفضل الصحابة – رضي الله عنهم – قاطبة على الإطلاق ؛ أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، فترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم الزمني في الخلافة بإجماع المسلمين . ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم من شهد بدراً ، ثم المهاجرين ، ثم الأنصار ، وهكذا . ونشهد بالجنة لمن ثبت له ذلك بالدليل كالعشرة والحسن والحسين وعكاشة بن محصن وغيرهم .

ومن عقيدة السلف الترحم عليهم والاستغفار لهم والترضي عليهم والإمساك عما شجر بينهم ، ومن طعن فيهم أو تنقصهم فهو زنديق كما قال الإمام الكبير أبو زرعة الرازي : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ؛ والجرح بهم أولى وهم زنادقة)اهـ [الكفاية للخطيب البغدادي : ص٤٩]

[٩] - أما بعد : كلمة يجاء بها للانتقال من كلام إلى كلام جديد .

فأحمد الله تبارك وتعالى على هذا الملتقى[١٠] ؛ على درب الخير مذاكرة العلم الشرعي[١١] من أجل الحرص على تحصيله ونشره ، وعندما يكون الحديث إلى نخبة من الدعاة إلى الله عز وجل يكون له أهميته وفائدته[١٢] ؛ الشيء الذي لا يخفى عليكم ، والموضوعات التي يتحدث فيها طلاب العلم والدعاة أينما توجهوا سواء في خطبهم أو في مواعظهم أو محاضراتهم[١٣] وندواتهم موضوعات علمية شرعية[١٤] ، تهدف إلى صلاح وإصلاح الفرد والمجتمع فيما يتعلق بشئون دينهم بالدرجة الأولى ، وفيما يتعلق بشئون دنياهم لارتباط أمور الدين بالدنيا ، وأمور الدنيا المباحة المشروعة إذا حسنت

---

١٠ - وهو الاجتماع لافتتاحية الدورة القرعاوية السابعة عشر ؛ والذي كان في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وثلاثين من هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

١١ - المذاكرة معناها مدارسة العلم وذلك عن طريق الدروس والمجالس العلمية وقد كان السلف يتدارسون العلم فيما بينهم ليل نهار ، فحري بطلبة العلم أن يحرصوا على مذاكرة العلم الشرعي ليحرزوا النصيب الأوفر والأجر العظيم من الله تبارك وتعالى .

١٢ - وذلك لأن كل واحد من هؤلاء الدعاة له منبره ومسجده الذي يدعو الناس من خلاله ، ولأنه إذا انتفع بالعلم كان ذلك سبباً في نفع الآخرين .

١٣ - ذهب بعض أهل العلم إلى كراهية تسمية الدرس ((محاضرة)) لأنها عرفت عن الغرب ، وذهب آخرون إلى جواز ذلك على اعتبار أنها كلمة استعربت . ولعل شيخنا – حفظه الله – قالها انطلاقاً من ذلك والله أعلم .

١٤ - ذكر أهل العلم عدة أسباب لنجاح موضوع الداعية ومنها :

أولاً : تحديد الموضوع الذي يريد التكلم عنه .

ثانياً : جمع الأدلة في الموضوع وتحرير الأحاديث من حيث الصحة والضعف .

ثالثاً : فهم الأدلة الشرعية – قرآناً وسنة – على وفق ما فهمه أئمة السلف .

رابعاً : ترتيب الموضوع بحيث يكون ما تضمنه متصلاً ليس هناك انقطاع بين فقراته .

خامساً : الإلقاء الجيد للموضوع . ولعل الوسائل الحديثة كمكبرات الصوت مما يساعد على الإلقاء الجيد .

النية فهي من أمور الدين وفيها الأجر[١٥] ، وكان النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – يحرص على الإرشاد لإصلاح أمر الدين بالدرجة الأولى وكذلك أمر الدنيا[١٦] ، ودليل ذلك أنه لما رأى رجلاً قوياً ذا حاجة أمره أن يذهب فيحتطب فيبيع فيكف نفسه عن السؤال ويكفي أهله مؤنة العيش[١٧] .

---

١٥ - جاء في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٦٩٢٣) ومسلم (١٨٢٤) عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أنه قال : " أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَأَرْجُو فِي نَوْمَتِي مَا أَرْجُو فِي قَوْمَتِي " . وفي صحيح البخاري أيضاً (٤٣٤١ ، ٤٣٤٢) بلفظ : " أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنْ النَّوْمِ فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي " . قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٢) طبعة دار الفكر : (ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب، لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب)اهـ

١٦ - ورد في صحيح مسلم (١٨٤٤) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم " ، وصح عنه أيضاً أنه قال : والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه " صححه الألباني في الكتب التالية : الصحيحة (١٨٠٣) ، وتحريم آلات الطرب (ص : ١٧٦) وحجة النبي (ص : ١٠٣) .

١٧ - لعل شيخنا – حفظه الله – يشير إلى ما رواه أبو داود في سننه (١٦٤١) وغيره ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَسْأَلُهُ فَقَالَ « أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ». قَالَ : بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. قَالَ : « ائْتِنِي بِهِمَا ». فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ وَقَالَ : « مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ». قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ « مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا ، قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ « اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ ». فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ « اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا. فَقَالَ

فالدعاة إلى الله أسوتهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في دعوة الخلق إلى صلاح دينهم وصلاح دنياهم التي لابد لهم منها[١٨] .

رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ ».
لكن هذه القصة ضعفها الشيخ الألباني – رحمه الله – في تحقيقه على أبي داود في الموضع المذكور آنفاً ، كذلك ضعفها في تحقيقه على الترمذي (١٢١٨) و في تحقيقه على النسائي (٤٥٠٨) وفي تحقيقه على ابن ماجه (٢١٩٨) وفي الإرواء (١٢٨٩) وفي المشكاة (٢٨٧٣) وفي ضعيف الترغيب والترهيب (٥٠١) .
لكن قد جاء نحو هذا المعنى في الصحيحين من غير ذكر مجيء الرجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد روى البخاري (١٤٧٠) ومسلم (١٠٤٢) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" وَالَّذي نَفْسي بيَده لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِه خَيْرٌ لَهُ منْ أَنْ يَأْتيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ " . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣ / ٣٣٥) : (وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك ، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن ذل الرد إذا لم يعط ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل)اهـ
١٨ - لقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[سورة الأحزاب آية : ٢١] قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٩١) : (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي – صلى الله عليه وسلم – يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين)اهـ وهذه الآية وإن كانت نزلت في غزوة الأحزاب إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قرره أهل العلم .
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره : (واستدل الأصوليون في هذه الآية ، على الاحتجاج بأفعال الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام ، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به . فالأسوة نوعان : أسوة حسنة ، وأسوة سيئة . فالأسوة الحسنة ، في الرسول – صلى اللّه عليه وسلم – فإن المتأسِّي به سالك الطريق الموصل إلى

ومن جملة الموضوعات التي تهمنا جميعاً وتدعوا الحاجة إلى المذاكرة في شأنها ؛ الدعوة إلى الله تبارك وتعالى التي هي وظيفة الرسل والأنبياء[١٩] ووظيفة المصلحين من أتباعهم[٢٠] دعوة الخلق إلى التفقه في دين الله تبارك وتعالى ، دعوة كل مكلف من ذكر وأنثى[٢١]

كرامة اللّه ، وهو الصراط المستقيم . وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ وهذه الأسوة الحسنة ، إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو اللّه واليوم الآخر ، فإن ما معه من الإيمان وخوف اللّه ورجاء ثوابه وخوف عقابه ؛ يحثه على التأسي بالرسول – صلى اللّه عليه وسلم – .)اهـ

[١٩] - وهذا يدل على شرفها وعلو منزلتها ، وأما ما يتعلق بالرسول والنبي فقد اختلف أهل العلم في الفرق بين الرسول والنبي إلى ثلاثة أقوال :

أولاً : الرسول : رجل حر من بني آدم أوحى الله إليه برسالة جديدة وأمره بالتبليغ ، والنبي : رجل حر من بني آدم أوحى الله إليه للدعوة إلى شرع سابق .

ثانياً : الرسول : رجل حر من بني آدم أوحى الله إليه برسالة جديدة وأمره بالتبليغ ، والنبي : رجل حر من بني آدم أوحى الله إليه ولم يأمره بالتبليغ .

ثالثاً : قيل لا فرق بينهما .

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول .

وأما القول الثاني : فضعيف ، لأن النبي إذا لم يؤمر بالتبليغ فمعناه أن الوحي إليه عبث لا فائدة منه .

وأما القول الثالث : فضعيف أيضاً لأن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فعطف النبي على الرسول ؛ والعطف يقتضي المغايرة ، فدل هذا على أن النبي والرسول بينهما عموم وخصوص ، فكل رسول نبي وليس العكس .

[٢٠] - فحري بكل عاقل أن يقتدي بهم ويدعوا مثلهم إلى الله تعالى حتى يحظى بالأجر الوفير من الله العلي الكبير ، وقد قال القائل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

[٢١] - المراد بالمكلف ها هنا : هو كل بالغ عاقل ذكراً كان أو أنثى ، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود (٤٤٠٣) وغيره ؛ عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله

أن يهتم بالفقه في الدين[٢٢] قبل كل شيء وما ذلك إلا للحاجة ، إذ أن الله خلقنا لعبادته[٢٣] ، والعبادة[٢٤] التكاليف الشرعية معلومة ومعروفة لها شروطها ولها أركانها ولها واجباتها كما لا يخفى ، وهذه المباحث لا يدركها الإنسان إلا بالتفقه فيها[٢٥] .

عليه وسلم – قال :" رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل " وصححه الألباني في الإرواء (٢٩٧) وصحيح الجامع (٣٥١٢، ٣٥١٣، ٣٥١٤) .

[٢٢] - الفقه معناه الفهم ، وليس المراد به هنا الفقه بالمعنى الاصطلاحي وهو : معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية ؛ بل المعنى أعم من ذلك ، فالمراد به : التفقه في الدين عقيدة وشريعة .

[٢٣] - قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ . قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (٧/ ٤٢٥) طبعة دار طيبة : (أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي : إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرهاً ، وهذا اختيار ابن جرير .)اهـ ثم قال : (ومعنى الآية : أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم .)اهـ

وقد أخطأ من فسر العبادة بالمعرفة في قوله تعالى ﴿ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي : إلا ليعرفون ، لأن الكفار عرفوا الله تعالى ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام .

[٢٤] - العبادة لغة : الذل والخضوع . واصطلاحاً : قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

والعبادة حتى تكون مقبولة يجب أن يتوفر فيها شرطان :

الشرط الأول : الإخلاص لله تعالى ، لقوله سبحانه ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ . ولقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث المتفق عليه :" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... " الحديث .[البخاري (١ ، ٥٤ ، ٢٥٢٩ ، ٣٨٩٨ ، ٥٠٧٠ ، ٦٦٨٩ ، ٦٩٥٣) ومسلم (١٩٠٧)] .

الشرط الثاني : المتابعة ، أي : متابعة النبي – صلى الله عليه وسلم – في أداء وتطبيق هذا العمل ، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال في الحديث المتفق عليه :" من أحدث في أمرنا

والفقه في الدين لا يحصل إلا بالجلوس عند أهله والأخذ من علومهم[٢٦] ، فهو فرض عين[٢٧] على كل مكلف أن يحرز من هذا الدين العظيم ما هو واجب وفرض عين[٢٨]

هذا ما ليس منه فهو رد " . [البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)] أي أن من أحدث في الإسلام ما ليس منه أي لم يفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمره مردود عليه ولا يقبل منه .

[٢٥] - ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ١٦٤) : (ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين ؛ أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير .)اهـ

[٢٦] - هذا هو الأصل ، وفي ذلك التحذير من الأخذ من الكتب وأن ذلك يجعل الإنسان يأتي بالعجائب ، وقد قال بعض السلف :

- من كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه .
- من البلية تشيخ الصحفية .
- من دخل في العلم وحده خرج من منه وحده .
- من دخل في العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم .

ولا شك أن هذا هو الغالب على من حصَّل علمه عن طريق الكتب بلا شيخ ؛ لكن قد يصح بعض الناس وينجح في تحصيل العلم بلا شيخ وهذا نادر جداً .

[٢٧] - الفرض والواجب بمعنى واحد وهو : ما أمر به الشارع المكلف على وجه الإلزام ، ويثاب فاعله امتثالاً ، ويستحق العقاب تاركه . وهو نوعان : فرض عين ؛ وفرض كفاية ، فأما فرض العين : فهو يشمل جميع المكلفين ، وأما فرض الكفاية : إذا فعله البعض سقط عن الباقين .

وقد ذهب علماء الأحناف إلى التفرقة بين الواجب والفرض ؛ فجعلوا الفرض أعلى رتبة من الواجب ، ومن رام تفصيل ذلك فليراجع كتب أصول الفقه التي دونها أهل العلم .

[٢٨] - وذلك لما رواه ابن ماجه (٢٢٤) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥) عن أنس ابن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" طلب العلم فريضة على كل مسلم " وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩١٣، ٣٩١٤) .

تنبيه : جاء في بعض الروايات لهذا الحديث زيادة (ومسلمة) وهي لفظة ضعيفة لم تثبت من طريق صحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وليعلم أن اللفظ الثابت (على كل مسلم)

كأصول الدين ، وأصول العبادات ، ومعرفة الحلال والحرام فيما يتعلق بالشعائر ، فيما يتعلق بالمعاملات وفيما يتعلق بالحقوق[٢٩] ، وهذه لا تدرك إلا بالتعلم من أهل العلم الشرعي .

وأما الغفلة عن ذلك والإعراض فهو شر مستطير[٣٠] فلابد أن ننبه الناس في المساجد[٣١] والمجامع[٣٢] بأعظم واجب عليهم وهو الفقه في دين الله ، فمن سلك هذا الطريق فقد هدي إلى صراط مستقيم[٣٣] ومن غفل عنه واشتغل بدنياه وملذاته

يشمل النوعين الذكر والأنثى لأن النساء شقائق الرجال ، فما ثبت لأحدهما يثبت للآخر إلا بدليل صحيح يخص أحدهما بالحكم دون الآخر ، والله أعلم .

[٢٩] - فيجب على كل مسلم أن يتعلم ما يصحح به عقيدته وعبادته لله تبارك وتعالى ، وأن يتعلم ما يعرف به الحلال والحرام في المعاملات من بيع وشراء ؛ وهكذا بقية الحقوق .

[٣٠] - أي : منتشر ومتفش ؛ وهذا واضح وبيِّن رأي العين .

[٣١] - المساجد : جمع مَسْجَد ، أو جمع مَسْجِد ، بفتح الجيم وكسرها . فهو لفظ يشمل المكان المعد للصلاة ويشمل أعضاء السجود السبعة التي أمر المصلي أن يسجد عليها ، وكلاهما لا يجوز أن يصرف شيء منه في العبادة لغير الله تبارك وتعالى لقوله تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ أي فلا تعبدوا مع الله أحداً فتصرفوا شيئاً من العبادة لغيره سبحانه وتعالى ، بل الواجب أن تخلص العبادة لله وحده لا شريك .

[٣٢] - المجامع : جمع مجمع وهو المكان الذي يجتمع الناس فيه .

[٣٣] - وفي القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ قال الإمام الطبري في تفسيره (٧/ ٦) طبعة الرسالة : (ومن يتعلق بأسباب الله ، ويتمسَّك بدينه وطاعته ﴿ فقد هدى ﴾ يقول : فقد وُفِّق لطريق واضح ، ومحجةٍ مستقيمة غير معوجَّة ، فيستقيم به إلى رضى الله ، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته)اهـ وقال الشيخ السعدي في تفسيره (أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على كل خير ﴿ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله .)اهـ

وشهواته[٣٤] خرج من الدنيا مفلساً من صالح العمل الذي يترتب عليه الجزاء الحسن[٣٥] .

وقد قال النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – في جملة قصيرة :" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين "[٣٦] منطوق الحديث[٣٧] يدل على أن أهل الخير هم الذين يهتمون

---

٣٤ - وقد أجاد بعض الشعراء في قوله :

يا من بدنياه اشتغل	وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة	والقبر صندوق العمل

٣٥ - ورد في صحيح مسلم (٢٥٨١) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وسلم - قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاته وَهَذَا مِنْ حَسَنَاته ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْه ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْه ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » .

قال النووي – رحمه الله – في شرح مسلم (٨ / ٣٨٠ - ٣٨١) طبعة دار الحديث : (مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا حَقِيقَة الْمُفْلِس ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مَال ، وَمَنْ قَلَّ مَاله ، فَالنَّاس يُسَمُّونَهُ مُفْلِسًا ، وَلَيْسَ هُوَ حَقِيقَة الْمُفْلِس ؛ لِأَنَّ هَذَا أَمْر يَزُول ، وَيَنْقَطِع بِمَوْتِه ، وَرُبَّمَا يَنْقَطِع بِيَسَارٍ يَحْصُل لَهُ بَعْد ذَلِكَ فِي حَيَاته ، وَإِنَّمَا حَقِيقَة الْمُفْلِس هَذَا الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث فَهُوَ الْهَالِك الْهَلَاك التَّامّ ، وَالْمَعْدُوم الْإِعْدَام الْمُقَطَّع ، فَتُؤْخَذ حَسَنَاته لِغُرَمَائِهِ ، فَإِذَا فَرَغَتْ حَسَنَاته أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَوُضِعَ عَلَيْه ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّار فَتَمَّتْ خَسَارَته وَهَلَاكه وَإِفْلَاسه . قَالَ الْمَازِرِيُّ : وَزَعَمَ بَعْض الْمُبْتَدِعَة أَنَّ هَذَا الْحَدِيث مُعَارِض لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِر وَازِرَة وِزْر أُخْرَى ﴾ وَهَذَا الِاعْتِرَاض غَلَط مِنْهُ وَجَهَالَة بَيِّنَة ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا عُوقِبَ بِفِعْلِهِ وَوِزْره وَظُلْمه ، فَتَوَجَّهَتْ عَلَيْه حُقُوق لِغُرَمَائِهِ ، فَدُفِعَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ حَسَنَاته ، فَلَمَّا فَرَغَتْ وَبَقِيَتْ بَقِيَّة قُوبِلَتْ عَلَى حَسَب مَا اِقْتَضَتْهُ حِكْمَة اللَّه تَعَالَى فِي خَلْقه ، وَعَدْله فِي عِبَاده ، فَأُخِذَ قَدْرهَا مِنْ سَيِّئَات خُصُومه ، فَوُضِعَ عَلَيْهِ ، فَعُوقِبَ بِهِ فِي النَّار . فَحَقِيقَة الْعُقُوبَة إِنَّمَا هِيَ بِسَبَبِ ظُلْمه ، وَلَمْ يُعَاقَب بِغَيْرِ جِنَايَة وَظُلْم مِنْهُ ، وَهَذَا كُلّه مَذْهَب أَهْل السُّنَّة . وَاَللَّه أَعْلَم .)اهـ

٣٦ - متفق عليه : رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) .

بالفقه في دين الله تبارك وتعالى[٣٨] لهم ولأسرتهم ولذويهم[٣٩] ولإخوانهم المؤمنين والمؤمنات[٤٠] بقدر ما يستطيعون[٤١] حتى يحرز الإنسان ما كان فرض عين عليه

---

[٣٧] - منطوق الشيء ؛ أي لفظه ، إذ الكلام له منطوق ومفهوم ، فمنطوقه لفظه ، ومفهومه ما يستنبط منه من فقه وأحكام .

[٣٨] - أي يحرصون ويبحثون عما ينفعهم ويقربهم من ربهم سبحانه وتعالى ويكون سبباً لنيل رضوانه والبعد عن سخطه وعقابه .

[٣٩] - وذلك لقوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قال ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٤٠٤) : (يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم.)اهـ

فأهل الخير والصلاح حريصون كل الحرص على تفقيه أنفسهم وتفقيه أهاليهم ممن هم مسئولون عنه بالدرجة الأولى حتى ينجو الجميع من عذاب الله تبارك وتعالى ، وقد جاء في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٢٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :« كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِه وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِه وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِه وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه » .

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ قال ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٤٩١) : (يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ يقول : علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار ، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله ، واعملوا بطاعة الله.وقوله : ﴿ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ يقول : وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به . أنفسهم من النار.)اهـ وروى الحاكم في المستدرك (٣٨٢٦) عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال في قوله تعالى ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ علموا أنفسكم وأهليكم الخير) . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ؛ ووافقه الذهبي .

[٤٠] - وذلك لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث المتفق عليه :" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) والمعنى : لا يكون أحدكم كامل الإيمان حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه .

كمراتب الدين الإسلامي الثلاث[٤٢] : الإسلام بأركانه الخمسة ، والإيمان بأركانه الستة ، والإحسان بركنه العظيم ، ومعرفة الحلال والحرام ، ومما هو معلوم من الدين

وفي صحيح مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :« مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » .

[٤١] - لقوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وقوله أيضاً ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

[٤٢] - جاء ذكر مراتب الدين الثلاث في حديث جبريل – عليه السلام – الذي يعرف بحديث (الإسلام والإيمان) وقد رواه الشيخان من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – انظر : البخاري (٥٠) ومسلم (٩) ، ورواه مسلم بأتم من ذلك من حديث عمر – رضي الله عنه – (٨) وهذا نصه :" بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – :« الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ : صَدَقْتَ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ :« أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ :« مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ : « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » . قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي : « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » .

بالضرورة ، هذه موضوعات لا يعذر بجهلها أحد من المسلمين والمسلمات ؛ من أهل المدن وأهل القرى وأهل الهجر وغيرهم[٤٣] .

ونحن نجتمع في مثل هذا الاجتماع مهمتنا الدعوة إلى الله تبارك وتعالى على وجه الصواب والإخلاص ؛ والصواب والإخلاص أساسهما العلم الشرعي[٤٤] إذ الصواب لا يكون إلا ممن يحسن العلوم الشرعية بقدر ما معه ، والإخلاص كذلك لا يحصل الإخلاص إلا بقدر ما يعلم الإنسان من دين الإسلام ، وما يترتب على الإخلاص من الأجر العظيم ، وما يترتب على ضده من الإثم الكبير[٤٥] .

نتفق إن شاء الله من هذا المكان[٤٦] على :

---

٤٣ - وهذا فيه رد على من أطلقوا العنان في الكلام على مسألة العذر بالجهل بغير ضابط ولا رابط ولم يتقيدوا بفهم أئمة السلف والسائرين على نهجهم ؛ فعذروا المشركين الذين يطوفون بالقبور ويصرفون العبادة لغير الله سبحانه وتعالى فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٤٤ - وهذا هو الذي أمر الله به نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يأمر به المؤمنين وذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فبين الله تعالى أن هذه هي طريقة نبيه – صلى الله عليه وسلم – التي يدعوا بها إلى الله تكون على بصيرة ؛ أي على يقين وعلم ، ومن اتبعه من أمته يقتدي به فيسير كذلك في الدعوة إلى الله على علم ، لأنه بالعلم الشرعي يصحح العبد نيته لله فيخلص له ، وقد قال بعض السلف (طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون له) أي في بادئ الأمر قد تشوب النية بعض الشوائب فإذا ما قوي علم الرجل فإنه يتخلص من تلك الشوائب ويخلص لله ، وبالعلم الشرعي يعرف كيفية الهدي النبوي في أي عمل ما ؛ وما كان عليه السلف الصالح فيتابعهم عليه ويفعله مثلهم .

٤٥ - وذلك لأن من لم يخلص عمله لله تعالى ؛ فإن الله غني عنه لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وقد ورد في صحيح مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" قال الله تبارك وتعالى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " .

٤٦ - وهو المسجد الذي أعطي فيه هذا الدرس وتعطى فيه كذلك دروس الدورة القرعاوية .

أولاً : التحصيل العلمي ليكون عند الداعية رصيد من العلوم الشرعية قد ضبطها وحفظها وفهم معانيها ، ثم يقوم بنشرها ، وهذا لابد له من سبب ؛ وسببه العناية بالتحصيل العلمي[٤٧] ، والأخذ بالوسائل النافعة التي يصبح بها طالب العلم متمكناً من

---

[٤٧] - جاء في كتاب العقد المنضد لشيخنا زيد المدخلي – حفظه الله – (١ / ١٥ - ١٨) طبعة دار المنهاج (س٢: فضيلة الشيخ، ما هي الطريقة الصحيحة للتأصيل العلمي، وما هي الطريقة الصحيحة لدراسة علم العقيدة والتفسير والفقه والحديث، وبأيها يبدأ طالب العلم ؟

ج٢: هذا السؤال يدل على أن سائله طالب علم يلتمس الطريق الصحيح في التحصيل العلمي، والحقيقة أن طالب العلم يحتاج: أولًا: إلى شيخ من أشياخ العلم الشرعي السائرين على نهج السلف الصالحين، فإن اختيار الشيخ واختيار الكتاب من الطرق الصحيحة الشرعية لتحصيل العلم.

وأما اختيار فنون العلم الشرعي من عقيدة وتفسير وحديث وفقه ولغة وسيرة نبوية، هذه العلوم لاشك أنها تحتاج إلى تأصيل وإلى حكمة في الانتقال من مرحلة إلى مرحلة، ومن إعداد الكتب من مستوى إلى مستوى، فإذا أتينا إلى العقيدة وأردنا التأصيل الصحيح، فليبدأ طالب العلم بدراسة الأصول الثلاثة للإمام المجدد الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) : ففيها من العلم الغزير في هذا الباب الشيء الكثير الذي لا يجهله طلاب العلم السائرين على منهج السلف الصالح في طلب الفقه في الدين، ثُم القواعد الأربع مع كشف الشبهات مع رسالة أصول الإيمان، هذه الرسائل تعتبر في باب الاعتقاد من الأصول التي يبنى عليها غيرها من علوم الشريعة، فإذا تولى تبيانها صاحب عقيدة سلفية صحيحة ونهج سلفي كذلك سطع النور من خلالها للطالب، وانتقل إلى ما هو أرفع منها مستوى ككتاب التوحيد، ثُم ينتقل من كتاب التوحيد إلى العقيدة الواسطية للإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) : ثُم بقية كتبه كالحموية والتدمرية ثُم العقيدة الطحاوية، وبعد ذلك يستطيع أن يقرأ في السنن التي تتعلق ببيان السنة والتحذير من البدع وهي السنن المعروفة كأصول الاعتقاد للالكائي (ت٤١٨هـ) وكتاب السنة للخلال (ت٣١١هـ) وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ت٢٩٠هـ) وكتاب الإبانة للعكبري (ت٣٨٧هـ) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (ت٣١١هـ) إلى غير ذلك من الكتب التي تعنى بهذا الفن.

وأما ما يتعلق بالتفسير: فالذي أختاره لطلاب العلم هو كتاب ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : وكتاب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) :، وأخص مختصر تفسير ابن كثير لمحمد

نسيب الرفاعي؛ لأن صاحبه نهج في الاختصار منهج السلف حسب علمي، ثُم إذا استطاع أن يتخرج في هذه الكتب فليأخذ تفسير البغوي (ت٥١٦هـ) وما عدا ذلك من التفاسير إذا ذهب يقرأ فيها، ويطلع على ما فيها بعد قراءة تلك الكتب يكون قد أبصر إن وجد شيئًا من التأويل المذموم فيها كما في تفسير القرطبي (ت٦٧١هـ) والتفاسير الأخرى كتفسير ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، وتفسير الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) مع أن في هذه التفاسير الخير الكثير والعلم الغزير إلا أن مؤلفيها -رحمة الله عليهم- وقعوا في تأويل بعض نصوص الصفات -وهو قليل في شيء من التأويل- وافقوا فيه من أول بعض نصوص القرآن والسنة تأويلًا مذمومًا، ولذلك أسباب أشهرها حسب علمي ثلاثة:

أحدها: البيئة التي يعيش فيها المفسر.

الثاني : المشيخة الذين يأخذ على أيديهم العلم.

الثالث: التتلمذ على الكتب، فللتتلمذ على الكتب أثره في فهم الإنسان وفقهه.

وأما بالنسبة للحديث: فأول ما يبدأ طالب العلم بالأربعين النووية حفظًا وفهمًا ولو على المهم من المعاني، ثُم يتدرج إلى عمدة الأحكام، فبلوغ المرام، وهكذا يرتقي إلى المنتقى وشرحه، ثُم يستطيع بعد ذلك أن يقرأ في الصحيحين والسنن وغيرها من كتب السنة؛ لأن العقل ينمو والعلم ينمو عند الإنسان بحسن النية وسلامة القصد والاستمرار في الطلب بدون انقطاع.

وهكذا في الفقه الإسلامي: إن الطالب بمجرد قراءته للحديث يأخذ فقهًا عظيمًا من الأحاديث بحسب من يتتلمذ على أيديهم، ولكن يأخذ كتابًا في الفقه كعمدة الفقه مثلًا وهذا من التأصيل في الفروع، أو زاد المستقنع، وقد أكرم الله الأمة بشروح متعددة لزاد المستقنع من العلماء القدامى والمعاصرين، ومن الشروح السهلة من علمائنا المعاصرين ما كتبه العلامة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين : في كتابه الشرح الممتع وهو ممتع بحق لما اشتمل عليه من بحوث نافعة وتفريعات فريدة أثابه الله ونفع بعلمه وزاده من فضله.

وأما في السيرة النبوية: فيبدأ الطالب بمختصر السيرة النبوية للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ثُم بعد ذلك بسيرة ابن هشام (ت١٨٣هـ)، والآن والحمد لله قد هذب كثير من كتب السير. وهكذا تحتاج هذه العلوم الشرعية إلى دراسة وسائل من أصول الفقه وقواعد المصطلح، ومن العناية باللغة العربية والقواعد الفقهية، فيصبح الإنسان ذا معرفة مستمدة من أدلة الكتاب والسنة بالفهم الصحيح، وفي كل ذلك هو لا يقتصر على القراءة الحرة أو الفردية، بل عليه أن يرحل إن لم يجد شيخًا في بلده إلى بلد على منهج علماء السلف في الرحلة في طلب العلم إن استطاع

العلوم الشرعية ، إن سئل أجاب وإن احتاج الناس عليه[٤٨] – وهم محتاجون طبعاً – في الخطابة والموعظة[٤٩] والصلاة[٥٠] ؛ أحسن في كل ذلك ، فإن كان قبل ذلك قد أعد رصيداً من التحصيل العلمي استطاع أن يقوم بمهمته التي تسند إليه من خطابة وإمامة[٥١] وموعظة وبذل نصيحة[٥٢] وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ودعوة إلى الله تبارك وتعالى[٥٣] ، وقد أعد نفسه إعداداً بعناية بحيث أحضر المكتبة المترلية واختار فيها

الرحلة، فإن لم يستطع الرحلة وقرأ في كتاب فعليه أن يدون ما أشكل ويسلك نوعًا سهلًا من أنواع الرحلة في هذا الزمن، ألا وهو الاتصال بالعلماء بواسطة الهاتف ليأخذ بغيته بدون مشقة والحمد لله. والله أعلم.)اهـ

٤٨ - كذا قال ؛ ولعل الصواب : إليه .

٤٩ - أي خطبة الجمعة وما عداها من دروس علمية فيها الموعظة الحسنة تذكيراً للناس بما يصلح أحوالهم ويقربهم إلى الله تبارك وتعالى .

٥٠ - أي يؤمهم في الصلاة لأنه أكثرهم علماً .

٥١ - أي يستطيع أن يؤمهم في الصلاة على الوجه المطلوب ، كذلك يكون قدوة لهم بسبب تطبيقه للعلم .

٥٢ - النصيحة كلمة جامعة ؛ ومعناها حيازة الخير للمنصوح له ، وقد جاءت الأدلة بالحث عليها والترغيب فيها ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه (٩٥) عن تميم الداري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ :« لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » . وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » . [البخاري (٥٧) ومسلم (٩٧)] .

٥٣ - لقوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) قال ابن جرير في تفسيره (٧/ ٩٠) : (يعني بذلك جل ثناؤه:" وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ " أيها المؤمنون " أُمَّةٌ " يقول : جماعة " يَدْعُونَ " الناس " إِلَى الْخَيْرِ " يعني إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده " وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ " يقول: يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله " وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ " يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله، بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لكم

الكتب النافعة بمشورة العلماء[٥٤] ، وجعل لها من أغلى الأوقات[٥٥] قراءة وتلخيصاً[٥٦] وفهم[٥٧] للأحكام والمعاني[٥٨] ، فيكون أول منتفع بإعداده لنفسه

بالطاعة. وقوله:" وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "، يعني : المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه.)اهـ

ولابد أن تكون الدعوة إلى الله قائمة على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وكما قال أيضاً ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فهذا هو الأصل ؛ فإن احتاج الأمر إلى شدة منه على المخالف اشتد فهذا من الحكمة أيضاً فلكل مقام مقال .

٥٤ - هذا قيد هام جداً من شيخنا – حفظه الله – وذلك لأن مشورة العلماء الثقاة عصمة من الزلل ، والطالب إذا لم يستشر أهل العلم تخبط في جمع الكتب فجمع بين الغث والثمين والصالح والطالح ؛ وربما تخرَّج على كتب أهل البدع والأهواء وهو لا يدري ؛ لأنه ليست عنده القدرة العلمية التي يميز بها بين هذا وذاك .

٥٥ - ينبغي على المرء أن يعتني بالوقت ويهتم به غاية الاهتمام وأن يبذل فيه أكبر عناية حتى يغتنمه ويغتنم كل لحظة من عمره فيما ينفعه ويرضي ربه سبحانه وتعالى ويبتعد عما يشينه ويغضب ربه . والوقت أنفس ما عني المرء بحفظه لذا قال القائل :

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

فالكيس من حافظ عليه وحرص على الاستفادة منه ، والبليد من ضيعه فيما لا ينفعه ، فحري بكل عاقل أن يحفظ وقته ليدرك المعالي وينجو من العقاب .

٥٦ - والمراد بذلك كثرة المطالعة مع التلخيص حتى يضبط الطالب ما يطالعه ، والأمر لا يقتصر على ذلك فحسب بل لابد من الحفظ فإن الحفظ هو زاد الطالب وقد قال بعض الشعراء :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئٍ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم ولا تطلب به بدلاً الناس موتى وأهل العلم أحياء

٥٧ - كذا قال ؛ ولعل الصواب : فهماً .

وإعداد هذه الوسيلة والرصيد الذي تسبب في وجوده المكتبة المترلية التي لا يستغني عنها بيت مسلم[٥٩] .

وأنا وإياكم ومن في مستواكم في كل مكان الدعوة إلى الله عز وجل من الواجبات علينا[٦٠] ، إذا لم يقم بالدعوة أهل العلم فمن الذي يقوم بها[٦١] ؟! وقد عرفنا بأنك لا

---

٥٨ - أي الفهم الصحيح الذي على وفق ما فهمه أئمة السلف لا أن يفهم فهما باطلاً من قبل نفسه ، وغالب الفهم السقيم إنما يأتي بسبب التشيخ على الكتب دون شيخ مباشر ولذلك قال أئمة السلف (من كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه) .

٥٩ - نعم هذا صحيح ، وقد جربته بنفسي فانتفعت نفعاً كبيراً بفضل الله تبارك وتعالى بالمكتبة المترلية التي انتقيتها من كتب أئمة السلف الصالح – رحمهم الله – وفي مجال الدعوة أقوم بالإعداد والتجهيز للدروس والخطب حتى أبلغ الناس شريعة ربهم سبحانه وتعالى فكنت والله أول المستفيدين بالبحث والمطالعة .

٦٠ - ذكر شيخنا – حفظه الله – أن الدعوة إلى الله من الواجبات عليه وعلى من في مستوى الحضور من طلاب العلم ؛ لأنهم على بصيرة تمكنهم من دعوة الناس إلى الحق وتخليصهم من الباطل .

والحقيقة أن هذه المسألة من المسائل التي اختلف أهل العلم فيها ؛ هل الدعوة إلى الله فرض عين أم فرض كفاية ؟ ويرجع سبب الاختلاف إلى اختلافهم في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ هل (من) في قوله ﴿ مِنْكُمْ ﴾ تبعيضية أو بيانية ؟ فمن رأى أنها (تبعيضية) حكم بأن الدعوة إلى الله فرض كفاية ؛ ومن رأى أنها (بيانية) حكم بأن الدعوة إلى الله فرض عين . ولا شك أن الذي ترجحه الأدلة أن الدعوة إلى الله فرض كفاية لأنه ليس كل الناس مؤهلين علمياً للقيام بهذا الشأن العظيم وهو عمل الأنبياء الكرام والرسل العظام ، وعلى هذا فينبغي أن توجد الأمة نفراً من الناس ليكونوا مؤهلين التأهيل العلمي الجيد وإلا أثموا جميعاً ، والكلام في المسألة كثير لكنني أختم بهذه الفتوى لشيخنا زيد – حفظه الله – فقد سئل عن هذه المسألة على وجه التحديد ؛ وهذا نص السؤال مع الجواب : (السؤال : هل الدعوة إلى الله فرض عين أم فرض كفاية ؟

الجواب : الدعوة إلى الله فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين ولها في ميزان الشرع شأن عظيم ولأهلها شرف كبير لأنهم ورثة الرسل الكرام والأنبياء العظام والصالحين من

الأنام قاموا بهـا امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ولقوله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وقد ورد الترغيب فيها في نصوص من الكتاب والسنة منها قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ والدعوة إلى الله من خير الحسنات وخير الفرائض والقربات لما فيها من النفع المتعدي والإحسان إلى الغير لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – :" فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " ، ولبعثه الدعاة إلى الله ليعلموا عباد الله دين الله الحق فيظفروا بالأجر العظيم كما قال – صلى الله عليه وسلم – :" من دلَّ على هدى كان له مثل أجر من عمل به لا ينقص من أجورهم شيئاً " وغير هذه النصوص في هذا المعنى كثير إذا فهم هذا فإن الدعوة إلى الله لا يستغني عنها فرد من الأفراد ولا مجتمع من المجتمعات ولا أمة من الأمم بل حاجة أولئك جميعاً إليها أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والنفس الذي تستقر به حياتهم وإذ كان الأمر كذلك فكن يا طالب العلم داعياً إلى الله على بصيرة ترجو ثواب الله وتلتمس نيل رضاه والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وهذا السؤال يجرُّنا إلى الإشادة بما تقوم به وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية من عناية بتنظيم الدعوة إلى الله بواسطة الإدارات العامة في جميع المناطق والمكاتب التعاونية التي تُعنى بإرشاد الناس على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم ولغاتهم في المحافظات المشتملة على المدن والقرى بالإضافة إلى معرض أنشأته ليكون كل عام في منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية والذي سيقام في هذا العام في منطقة جازان بنشاط دعوي وفرت له الوسائل من قبل الوزارة ليؤتي ثماره يانعة مفيدة بعد أن أقيم في مناطق متعددة في شرق المملكة وشمالها وغربها فجزى الله القائمين عليه خير الجزاء وعلى رأسهم معالي وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ / صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وفقنا الله وإياه لنشر الدعوة إلى الله لنظفر بالأجر الوفير والخير الكثير ومع الوزير وكلاؤه في وزارة الشئون الإسلامية ومن جملة الشئون شأن الدعوة إلى الله عز وجلّ هذا ما أحببت التنبيه به إجابة على سؤال السائل وما يتعلق به ؛ وبالله التوفيق . المجيب على السؤال / زيد بن محمد بن هادي المدخلي حرر في ١٤٢٨/١٢/١٨هـ)اهـ المصدر : فتوى مكتوبة نشرت قديماً على الموقع القديم للشيخ .

تستطيع أن تكون معلماً حتى تكون متمكناً من العلوم الشرعية بقدر ما تستطيع وإلا فالجاهل لا يعلم أحداً ؛ فاقد الشيء لا يعطيه ، فلابد من الأخذ بالوسائل ليصبح الطالب العلم منا[٦٢] متمكناً من العلوم الشرعية لا سيما فروض العين وأن يكون ناشراً لها ابتداء من الأسرة ، وهكذا الانطلاق بدون حدود في حدود القدرة والاستطاعة .

وقد أمر الله تبارك وتعالى من عنده علم أن يعلم به فلا يبخل به أبداً كما قال عز وجل ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[٦٣] والآية

---

٦١ - نعم ؛ صدق شيخنا – حفظه الله – (إذا لم يقم بالدعوة أهل العلم فمن الذي يقوم بها) فإن سكوت أهل الحق عن تبليغه جرَّأ أهل الجهل والفهم السقيم من الفرق الضالة على التكلم في دين الله تبارك وتعالى بما ليس منه فاتبعهم خلق ليسوا بالقليل فحادوا عن هدي السبيل .

٦٢ - هذا من تواضع شيخنا – حفظه الله – واقتدائه بمن سلف من أهل العلم فكان الواحد منهم يعترف بأنه طالب علم ، وهذا حق لأنه يظل في طلب العلم حتى الموت كما قال الإمام أحمد مع العلم من المهد إلى اللحد ، ومع المحبرة إلى المقبرة . وأما بالمقارنة مع غيره فإن شيخنا علامة ولا شك وقد نفع الله بعلمه .

وبهذه المناسبة فإنني لأتعجب أشد العجب ممن هو قليل البضاعة العلمية ويتخبط هنا وهناك ؛ ثم يرضى بأن يوصف بأنه عالم وبحاثة ومحقق ومدقق ! بل لقد غلا البعض فقال : فلان الحافظ ! ولا أملك إلا أن أقول تجاه ذلك : هزلت والله ؛ وإنا لله وإنا إليه راجعون .

٦٣ - (سورة آل عمران آية : ١٨٧) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢ / ١٨٠ - ١٨١) : (هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب ، الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه ، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف ، والحظ الدنيوي السخيف ، فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بيعتهم . وفي هذا تَحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع ، الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئاً ، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ".)اهـ

عامة تتناول كل من آتاه الله شيئاً من العلم لا يجوز له أن يبخل به بل ينفق منه وينتظر من الله الأجر والزيادة في العلم .

وقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من الكتمان وتوعد عليه بأشد الوعيد :" من كتم علماً مما يحتاج الناس إليه ألجم بلجام من نار يوم القيامة "[٦٤].

فيلزمنا معشر الطلاب – طلاب العلم – يلزمنا تعليم الناس الجاهلين وتذكير الغافلين ومذاكرة المتعلمين ، فالحياة الطيبة المباركة ؛ حياة التعلم والتعليم والتفقه في دين الله والنشر[٦٥] ، هذه حياة الصالحين من عباد الله في كل زمان ومكان ولا عبرة بغير ذلك؛ لا بالأموال ولا بالأولاد ولا بالجاه والسلطان ؛ ولكن بميراث الأنبياء وعمل الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – كما في الحديث الثابت :" إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر "[٦٦] .

---

٦٤ - صحيح : رواه أحمد (١٠٤٢٠) وابن أبي شيبة (٢٦٤٥٣) وأبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه (٢٦٤) وابن حبان (٩٥ ، ٩٦) والطبراني في الكبير (٨٢٥١ ، ١٠٠٨٩) وفي الأوسط (٣٣٢٢) والصغير (١٦٠، ٣١٥ ، ٤٥٢) والحاكم في المستدرك (٣٤٤) وقال : (وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)اهـ ووافقه الذهبي . ورواه القضاعي في مسند الشهاب (٤٣٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٩٦٩) وصححه الألباني في المشكاة (٢٢٣) وقال : (وقد أعل بالانقطاع وليس بشيء)اهـ

٦٥ - أي نشر العلم .

٦٦ - رواه أحمد (٢١٧١٥) وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الألباني في المواضع الثلاثة الأخيرة ، وفي صحيح الجامع (٦٢٩٧) وقال في المشكاة (٢١٢) : حس . وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠): حسن لغيره .

ورواه ابن حبان في صحيحه (٨٨) وقال عقبه : (فِي هَذَا الْحَدِيث بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ لَهُمُ الْفَضْلُ الَّذي ذَكَرْنَا: هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: (الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ) وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا إِلَّا الْعِلْمَ وعلمُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّتُه فَمَنْ تعرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ)اهـ

وكم من نصوص في الكتاب والسنة أرشدنا الله تبارك وتعالى فيها إلى العناية بالعلم الذي مصادره ثلاثة : الكتاب العزيز[٦٧] ، والسنة المطهرة[٦٨] ، وما أجمع عليه علماء المسلمين[٦٩][٧٠] ، وما استند إلى هذه الثلاثة فهو منها[٧١] غير أنه لا يكفى أن تقرأ القرآن ، لابد أن تبذل جهداً مهماً عظيماً في معرفة أحكام القرآن وموضوعات القرآن التي جاء لها لبيانها وتأخذ نصيباً وافراً وحظاً من السنة المطهرة لا سيما أحاديث الأحكام والأخبار عن المغيبات ؛ عن اليوم الآخر وما فيه[٧٢] ، والشعائر التعبدية حتى

---

٦٧ - وهو القرآن الكريم ، وهو كلام الله اللفظ العربي المنزل على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – بواسطة الوحي وهو جبريل عليه السلام ، الذي نقل إلينا بالتواتر ، والذي تعبدنا الله بتلاوته ، والذي تحدى الله به كفار قريش بأن يأتوا بأقصر سورة من مثله فعجزوا . وهو كلام الله المنزل غير مخلوق ، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بإجماع أئمة السلف .

٦٨ - السنة هي : كل ما ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية . ويختلف حكم الوارد فيها بحسب مدلوله فما دل على الوجوب وليس هناك صارف له فهو واجب ، وما واظب النبي – صلى الله عليه وسلم – عليه من غير أمر ولم يتركه فهو سنة مؤكدة كالسنن الرواتب والوتر ؛ وهكذا .

٦٩ - الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن والسنة ، والمراد به كما ذكر أهل العلم : اتفاق مجتهدي العلماء من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – في عصر من العصور على حكم شرعي في أمر من أمور الدين بعد وفات النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ لا عبرة بقول غيره في حياته .

٧٠ - فحري بكل مسلم عاقل أن يعض بالنواجذ على هذه المصادر العظيمة ؛ التي من تمسك بها سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ضيعها وأهملها وجعلها خلفه ظهرياً فالهلاك الهلاك ولا يلومن إلا نفسه .

٧١ - أي وما اعتمد على هذه الثلاثة ونبع ؛ فهو منها ، فجدير بطالب العلم أن يعتني بها وبكل ما استمد منها في جميع أنواع العلم الشرعي .

٧٢ - وذلك لأن السنة النبوية هي المبينة للقرآن الكريم كما قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ فكل ما أخبر به النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – وصح عنه الخبر بذلك فيجب الإيمان به ؛ لأن كلامه وحي من الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم ﴿ وَمَا

تكون قد أخذت نصيباً من تلاوة كتاب الله[٧٣] وفهم معانيه والعمل بمقتضاه[٧٤] ، فمدح الله العلم والعلماء وذم الجهل والجاهلين ، وكما أسلفت لا يأتي العلم بدون بذل الجهد في التعلم ، فنحن والحمد لله أصحاب سنة وأصحاب فهم للميراث النبوي[٧٥] لا كما تقول الصوفية الضالة[٧٦] أن العلم يترل فيوضات على بعض الناس على القلوب[٧٧] ؛ يعني بدون تعلم ، هذه من الخرافات ومن البدع المضلة ، ومن صَرْفِ

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ وقد صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه " رواه أحمد (١٧١٧٤) وأبو داود (٤٦٠٤) وابن حبان (١٢) وغيرهم ؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣) وغيره .

٧٣ - وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد رغب قي قراءة القرآن وبيَّن أن لها أجراً كبيراً فقال :" من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف " رواه الترمذي (٢٩١٠) وغيره ، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٢٧) وفي صحيح الجامع (٦٤٦٩) .

٧٤ - أي على وفق فهم وعمل السلف الكرام ، لأن كل فهم وعمل يضاد فهم وعمل السلف فهو مردود على صاحبه لأن السلف هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة فمن رام النجاة سلك سبيلهم واستمسك بغرزهم ، ومن لم يستمسك بذلك فلقي العقاب من الملك الوهاب فلا يلومن بعدها إلا نفسه .

٧٥ - وهو العلم الشرعي ؛ كتاباً وسنة بفهم سلف الأمة .

٧٦ - الصوفية فرقة ضالة بعيدة عن هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم ، إذ هم يبتدعون عبادات بكيفيات ما أنزل الله بها من سلطان بل يصل الأمر ببعضهم للوقوع في الشرك الأكبر عياذاً بالله تعالى وذلك من خلال طوافه بالقبور وإخراجه لهم النذور والذبح لهم وهذا يضاد التوحيد ، وغير ذلك من بدعهم ومخالفاتهم ومخازيهم ، فحري بكل مسلم أن يتبصر بما عليه الصوفية من بدع وضلالات وشركيات حتى ينجو من عقاب الله جل وعلا ويحظى برضوانه .

٧٧ - يستدل المتصوفة على أن العلم يترل فيوضات من الله تعالى بلا تعلم بقوله تعالى في سورة الكهف ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ فيزعمون أن الولي يترل عليه العلم فيوضات وأنه أفضل من النبي لأن الخضر علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام ! حتى قال قائلهم :

الناس عن علم الكتاب والسنة ، أما أهل السنة والحمد لله يعرفون أنه لا مصدر للعلم إلا الكتاب العزيز والسنة المطهرة وما أجمع عليه علماء المسلمين في كل زمان وفي كل مكان .

فلنتفق جميعاً من هنا على الإعداد لنصبح عندنا حصيلة من العلم ننتفع به وننفع به غيرنا كدعاة إلى الله تبارك وتعالى .

بيَّن الله عز وجل فضل العلم والعلماء في آيات متعددات ، وبيَّن النبي الكريم – عليه الصلاة والسلام – كذلك فضل العلم والعلماء كما قال الله عز وجل ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٧٨]، وقال سبحانه ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[٧٩] أهل العقول

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ولا شك أن كلامهم هذا باطل محض لأن الخضر عليه السلام كان نبياً والدليل على ذلك ما جاء في الآيات نفسها ؛ قوله تعالى ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ والمراد بالرحمة النبوة كما ذكر ذلك المفسرون ، وقوله أيضاً ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ أي لم يفعل تلك الأشياء من قبل نفسه وإنما كانت بوحي من الله تعالى .

ومما يجدر التنبيه عليه أنه ليس معنى أن الخضر يعلم أشياء خفيت على موسى أنه أفضل من موسى – عليهما السلام – فإن موسى أفضل منه باتفاق أهل العلم لأنه من أولي العزم من الرسل ، والخضر ليس كذلك .

[٧٨] - (سورة المجادلة آية : ١١) .

قال الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره : ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين ، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات ، إذا عملوا بما أمروا به .

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في الفتح (١/ ١٤١) : (قوله ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ قيل في تفسيرها : يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم ، ورفعة الدرجات تدل على الفضل ، إذ المراد به كثرة الثواب وبها ترتفع الدرجات ، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت ، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة .)اهـ

[٧٩] - (سورة الرعد آية : ١٩) .

السليمة الذين اهتدوا إلى الأخذ بما يصلح شؤنهم في دينهم ودنياهم ، وأساس ذلك العلم الشرعي الذي أوحاه الله تبارك وتعالى إلى رسله وأنبيائه وكان لهذه الأمة أعظم حظ ؛ خير كتاب أنزل[٨٠] على خير نبي بعث وأرسل[٨١] ، الفرقان[٨٢] ومعه مثله

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله – في تفسيره (١٦/ ٤١٨) : (يقول تعالى ذكره : أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك يا محمد ، حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه ، كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حُجَة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فَرَائصه ؟)اهـ قلت : كذا في أكثر من نسخة وقفت عليها (فرائصه) ولعل الصواب فرائضه ؛ والله أعلم .

وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (٤/ ٤٥٠): (يقول تعالى : لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿ أُنزلَ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ هو ﴿ الْحَقُّ ﴾ أي : الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضاً ، لا يضاد شيء منه شيئا آخر ، فأخباره كلها حق ، وأوامره ونواهيه عدل ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا ﴾ أي : صدقاً في الإخبار ، وعدلاً في الطلب ، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه ، ولو فهمه ما انقاد له ، ولا صدقه ولا اتبعه ، كما قال تعالى : ﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ أي : أفهذا كهذا ؟ لا استواء . وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي : إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة ، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه .)اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسيره : (يقول تعالى : مفرقاً بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾ ففهم ذلك وعمل به . ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ لا يعلم الحق ولا يعمل به فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض ، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالا وخير مآلاً فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها ، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره . ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي : أولو العقول الرزينة ، والآراء الكاملة ، الذين هم لُبّ العالم ، وصفوة بني آدم)اهـ

[٨٠] - وهو القرآن الكريم .

[٨١] - وهو نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – .

[٨٢] - سمي القرآن فرقاناً ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال .

السنة المطهرة وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن هذه النعمة بقوله " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه "[٨٣] أي السنة المطهرة التي مع القرآن في الأحكام ؛ بيان الحلال والحرام[٨٤] والتوجيه لأمة محمد – عليه الصلاة والسلام – إلا من أبى ؛ أي من أعرض عن التفقه في هذين الثقلين الكتاب العزيز والسنة المطهرة[٨٥] .

فعلينا جميعاً بارك الله فيكم أن نخطط التخطيط السليم بوضع مكتبات في البيوت واختيار الكتب[٨٦] واختيار أغلى الأوقات للمذاكرة[٨٧] وأيضاً اختيار الزملاء أهل

---

٨٣ - صحيح : رواه أحمد (١٧١٠٨) وأبو داود (٤٦٠٤) وابن ماجه (١٢) والطبراني في مسند الشاميين (١٠٦١) والخطيب البغدادي في الكفاية (ص ٨) والفقيه والمتفقه (٢٦٣) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٧٠) وصحيح الجامع (٢٦٤٣) والمشكاة (١٦٣) .

٨٤ - قال الله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[سورة النحل آية : ٤٤] فأخبر الله تعالى أنه أنزل الذكر وهو القرآن الكريم على نبيه – صلى الله عليه وسلم – ليبينه للناس ، فدل هذا على وجود مبيِّن ومبيَّن ، فالمبيِّن هو الرسول – صلى الله عليه وسلم – بشخصه حال حياته ؛ وسنته بعد وفاته ، والمبيَّن هو القرآن الكريم .

٨٥ - جاء في صحيح البخاري (٧٢٨٠) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى " .

٨٦ - وهذا أمر مهم جداً ، فلابد أن يختار الكتب العلمية النافعة المفيدة لأئمة السلف ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم ، ويبتعد عن كتب أهل البدع والأهواء فإنه لا خير فيها ، وما فيها من حق وصواب فهو موجود عند أهل السنة من السلف ؛ فلا ينبغي لطالب العلم المبتدئ أن يغامر ويقرأ في كتب لأناس عليهم مؤاخذات فقد يدخل ويظن نفسه قادراً على التمييز ؛ فلا يكاد يخرج إلا وقد أشرب بدعة المؤلف ! نسأل الله السلامة والعافية .

لذا ينبغي لطالب العلم أن يستشير العلماء الثقات أو من سبقه في طلب العلم من الطلبة الأقوياء فيما يقرأ حتى يتدرج تدرجاً صحيحاً يجعله صاحب مكنة علمية ويكون مؤهلاً لأن يكون من العلماء الثقات والجهابذة الأفذاذ .

٨٧ - الوقت بالنسبة لطالب العلم هو زاده الذي يتبلغ به ، فجدير به أن يحافظ عليه ، فيغتنم خير الأوقات فيحفظ فيها ويراجع محفوظاته ، ومن جملة اغتنام الوقت والحرص عليه السير على

السنة لمذاكرة العلم ، فما أحسنها عندما يتذاكر اثنان فأكثر في مسائل العلم يخرجون بفائدة عظمى ، فائدة من العلم وفائدة من الأجر ، تصحبهم ملائكة الله الكرام سواء في مسجد أو في بيت أو في أي مكان ؛ " إن لله ملائكة سياحين يتتبعون – مجالس العلم[٨٨] – مجالس الذكر "[٨٩] وهي مجالس العلم ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله جلسوا معهم حتى يتفرقوا ، وهذا من الشرف العظيم لمن يحرص على مذاكرة العلم والجلوس في حلقاته سواء معلم أو متعلم .

فلنحرص على ذلك ونجعله في رأس القائمة من أعمالنا ، وقبل كل شيء فالعلم أساس كل خير ؛ ديني ودنيوي ، ولا فلاح بدونه ، فإن الله تبارك وتعالى ذم الجهل

برنامج علمي عملي حتى يتدرج في طلب العلم ، ويسير السير الصحيح فلا يتخطى مرحلة من المراحل إلا وقد أتقن التي قبلها وإلا ضاع وقته بلا فائدة لأنه لابد من التدرج إذ ما يطيقه الكبير لا يطيقه الصغير فلكل أدواته وقدراته فالعاقل من التزم التدرج ومن لم يلتزمه فإنه يتعثر الطريق ويخطئ الفهم الدقيق نسأل الله السلامة والعافية .

٨٨ - لعل هذه الجملة سبق لسان من شيخنا – حفظه الله – .

٨٩ - ورد هذا المعنى في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) واللفظ له ، عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ . فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ . وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا . فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ . قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ . قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا : لاَ أَيْ رَبِّ. قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ . قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لاَ . قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ . قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا . قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ . قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ».

والجاهلين[٩٠] ، ونهى نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – بقوله ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[٩١] وقال لنوح ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[٩٢] والآية التي سبقك ذكرها ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾[٩٣] لا يستوي المبصر والأعمى ، لا حساً ولا معنى[٩٤] .

---

٩٠ - الجهل ينقسم إلى نوعين : جهل بسيط ، وجهل مركب . فالجهل البسيط هو : عدم معرفة الشيء ، والجهل المركب هو : معرفة الشيء على غير حقيقته . فالأول كمن سئل عن عمر النبي – صلى الله عليه وسلم – وقت وفاته ؛ فقال لا أدري ، والثاني كمن سئل عنه فقال بالنقص أو الزيادة ، أو كمن سئل عن أول الخلفاء الراشدين فقال عمر ، والصواب أبو بكر .

٩١ - (سورة الأنعام آية : ٣٥) .

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله – في تفسيره (١١/ ٣٤٠) : (فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه ، وأنَّ من يكفر به من خلقه إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ، ونافذ قضائه بأنه كائنٌ من الكافرين به اختيارًا لا اضطرارًا ، فإنك إذا علمت صحة ذلك، لم يكبر عليك إعراضُ من أعرض من المشركين عما تدعُوه إليه من الحق ، وتكذيبُ من كذَّبك منهم .)اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسيره : (﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا يتزلونها على منازلها.)اهـ

٩٢ - (سورة هود آية : ٤٦) .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسيره : (أي : إني أعظك وعظاً تكون به من الكاملين ، وتنجو به من صفات الجاهلين .)اهـ

٩٣ - (سورة الرعد آية : ١٩) وقد تقدم الكلام عليها آنفاً .

٩٤ - في مثل هذا المعنى قال الله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ . قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – في تفسيره : (﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ شيئاً من ذلك ؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء ، كما لا يستوي الليل والنهار ، والضياء والظلام ، والماء والنار .)اهـ

فوصيتي[٩٥] لنفسي ولكم العناية بالكتاب العزيز والسنة المطهرة تلاوة وفهماً للمعاني ونشراً بين الناس ليعظم الأجر وتبرأ الذمة ، ويستفيد المجتمع من طلاب العلم الذين بين أظهرهم كما فيها سيرة سلفنا الصالحين الذين جمعوا هذه العلوم المبثوثة في دنيا البشر اليوم كلها على اختلاف أنواعها من تفسير وحديث وفقه وتأريخ وغير ذلك كلها بفضل الله ثم بجهود أولئك الأسلاف الأفاضل الذين وفقهم الله ونشروا هذا العلم حتى وصل بين أظهرنا في هذا الزمن[٩٦] .

وأقتصر على هذا القدر ، وأسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد ومحبة العلم والعلماء والسير على نهج السلف الصالح عقيدة وشريعة[٩٧] .

---

٩٥ - الوصية هنا ليس المراد بها الوصية التي ذكرها الفقهاء في كتبهم وهي إيجاب الشخص على نفسه شيئاً ما ليس بواجب ؛ وإنما هي مصروفة هنا إلى النصيحة فكأنه يقول : نصيحتي لنفسي ولكم . والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح له ، وقد ذكرت هذا آنفاً .

٩٦ - فجدير بمن سمت همته أن يعض بالنواجذ على مثل هذه الوصية القيمة من هذا العالم الكبير فيعتني بالقرآن والسنة عناية كبيرة على وفق منهج السلف وأن يبلغ ذلك للناس حتى يحقق الثمرة المرجوة من طلب العلم وتبرأ ذمته فلا يلحقه الإثم بعد ذلك على هلاك هالك لأنه لم يقصر في دعوة الناس .

فجدير بكل مسلم أن يقتدي بهؤلاء الأسلاف فيتعلم ويعلم الناس الخير فيكون قدوة لغيره بعد ذلك فيحظى بأجره وأجر من تابعه في تطبيق الحق الذي بلَّغه .

٩٧ - هذا دعاء طيب من شيخنا – حفظه الله – إذ من وفقه الله وسدده للحق والعمل به ؛ وأحب العلم والعلماء وسار على منهج السلف الصالح عقيدة وشريعة ؛ سعد في الدنيا والآخرة ، أما سعادته في الدنيا فبتوفيق الله له وشعوره بالطمأنينة وراحة البال ، وأما في الآخرة فبالنعيم المقيم في جنات النعيم والنظر إلى وجه الله الكريم .